الزمن
الخميس من 14 إلى 2003/8/20 . من 16 إلى 22 جمادى الثاني 1424 هـ . العدد 244
Thursday 14 To 20/ 8 / 2003 - Issue No 244

كل المعارضة الإيرانية التفت حوله وواشنطن رحبت به

الخميني الحفيد... جيفارا جديد

واشنطن ـ زهير الدجيلي

حالماً انتهى حسين الخميني حفيد الإمام الراحل الخميني من مباحثاته مع مسؤولين من الإدارة الأميركية في بغداد ومن قوات التحالف، تزاحم الصحافيون حوله. وابتسم أحد القادة العسكريين الحضور الذين شاركوا في الحديث مع هذا الخميني القادم من قم قبل أقل من ثلاثة أشهر إلى النجف، وهو يعلق قائلاً: «هذا هو الخميني الذي نريده، ولا شك في أنه الخميني المفضل بالنسبة لي».

إيران ترد على تصريحات الخميني بتحريك البصرة والعمارة

هذه العبارة الأميركية تعني أشياء كثيرة قد تختلط فيها ذكريات الماضي بتداعيات الحاضر. فبين الخميني الجد والخميني الحفيد مسافة شاسعة شهدت صراع الأضداد والاتجاهات تقف فيها واشنطن أقرب من الحاجب للعين على بوابة طهران، تبحث عن خميني من طراز جديد يلهب مشاعر الجماهير الإيرانية كما ألهبها الخميني الجد. ولكن نحو الحرية والديمقراطية هذه المرة.

وهذه العبارة ليست عابرة أو هي تعبير عن إعجاب شخصي من جنرال أميركي، إنما هي إشارة واضحة للبهجة التي تشعر بها واشنطن وهي ترى ظهور خميني جديد يساعدها على تقويض ما بناه جده، على رغم خلافات حسين الخميني مع أميركا كأي رجل دين مسلم من الصعب أن يراها قريبة إلى نفسه، لكنه بنظرها معارض فذ قد يكون محوراً لتجمع المعارضة الإيرانية من أجل التغيير في إيران، وهذا ما يتمناه مخططو السياسة الأميركية وحلفاؤهم في الشرق الأوسط.

الحرب الخفية

فمنذ ما يقارب العام تقريباً بدأ أولئك المخططون في واشنطن على رغم انشغالهم بالإعداد لحرب العراق، بالإعداد أيضاً لحرب أخرى خفية وعلنية أيضاً. لتغيير النظام الإيراني وفق مشروع أطلقوا عليه اسم «التغيير الديمقراطي في إيران». ووضعوا له مسارات عديدة تكاد أن تكون في بعض صورها أشبه بالمسارات التي سارت عليها عربة الحرب الأميركية لإسقاط نظام صدام. ليس فقط بتشجيع حركة المعارضة في الداخل ودعم الحركة المدنية المطالبة بالإصلاح والاتصال بالضباط لتوفير نزعة التمرد لديهم، إنما أيضاً إيجاد مراكز قوى إعلامية ومعنوية في الخارج تدعم تلك المحاولات الحثيثة نحو التغيير في إيران. وحينما تم تغيير النظام في العراق. وأصبح العراق محتلاً بإرادة دولية تحت سيطرة الدولتين الحليفتين، وجدت واشنطن نفسها قاب قوسين أو أدنى من طهران.

فالرمي على طهران من واشنطن غير الرمي عليها من بغداد أو من البصرة أو من الكوت. والصوت الذي ينطلق من واشنطن قد يتوه في زحمة الأقمار الصناعية. لكن الصوت الذي ينطلق من النجف باتجاه الشرق القريب سرعان ما يتردد صداه في قم وفي المدن الإيرانية الأخرى التي تعيش الآن غمرة الصراع بين التيارين المحافظ والإصلاحي.

أصداء الحفيد

وحين ظهر الخميني الحفيد وجدت فيه واشنطن واحداً من الأصوات التي تبحث عنها والتي تريدها أن تعلو ويتردد صداها هناك في الشوارع المحيطة بجامعة طهران، أو في قم ومشهد وشيراز وغيرها، حيث راحت حركة المطالبة بالتغيير

لكن نظام صدام رد على تلك التهمة في حينها بالقول: إنه لو صح ذلك «لقمنا باغتيال الخميني نفسه وكان بين أيدينا(!)»، وكان الابن مصطفى الخميني بدرجة علمية تستحق أكثر من لقب «حجة الإسلام»، كما أنه كان الساعد الأيمن لوالده الإمام الراحل. وكان عزاء الخميني الإمام في ولده هو بقاء حفيده حسين الخميني إلى جانبه، وكان آنذاك في سن العشرين. وازداد حب الخميني لحفيده الشاب وكأنه يعوض بذلك عن فقدان ابنه الأكبر مصطفى. وحينما قامت الثورة الإسلامية في إيران كان حسين الحفيد يقف إلى جوار جده في طهران وقم. ولكنه كان موقفاً مختلفاً في أغلب الأحيان، أحرج الإمام الخميني نفسه، ولولا حب الجد لحفيده إلى درجة يعرفها الكثير من هم حول الإمام، لكان حسين الآن في خبر كان(!).

ومنذ أن كان حسين الخميني في النجف طالباً يدرس علوم الدين والفقه، كان شخصية منفتحة جداً على الواقع وعلى أمور الحياة، يؤيد الكثير مما يرفضه رجال الدين التقليديون، وبعد ذلك أصبح يجسد هموم الشباب الإيراني في الحصول على المزيد من حرية التعبير والتحرر من قيود «الجبرية» التي ظلت المؤسسة الدينية تفرضها عليهم. فازدادت شعبيته بين الشباب. واعتبره التيار الإصلاحي في أول ظهوره المبكر في السنوات الثلاث الأولى للثورة وما بعدها أنموذجاً للزعامات الشابة الجريئة الداعية للإصلاح. وقادته جرأته إلى التعبير عما كان من غير الممكن آنذاك التعبير عنه. وهذا ما سبب الحرج الكبير للإمام الخميني. فقد انتقد حسين الخميني بجرأة قرار تنحية الرئيس السابق «أبو الحسن بني صدر» واعتبرها تمهيداً لجر إيران إلى حرب مدمرة مع العراق، ومعتبراً إياها نتاج تحالف اليمين الفاشي الإيراني مع نظام صدام الدكتاتوري. وهذا التحالف الخفي ـ حسب ما يرى ذلك ـ هو الذي هيأ مبررات تلك الحرب المؤذية لكلا الشعبين. وما زال حسين الخميني يصرح لجلسائه من الصحافيين قائلاً: «إن المؤامرة التي أدت إلى التفريق بينه وبين جده رحمه الله، كان وراءها اثنان رفسنجاني وخامنئي»، لكن آخرين يحاولون نفي هذا الاتهام. واضطر الإمام الخميني بعد تفاقم الصراع بين اتجاهين.

خاتمي: فاشية الدين والثورة أخرجت الخميني من الساحة السياسية

أحدهما يقوده حفيده الشاب والآخر يقوده أركان النظام

حتى أن مراسل إحدى الوكالات الأجنبية سأله عما سيكون رد فعل جده الإمام لو كان حياً، وسمع هذه الانتقادات والأفكار؟ فأجابه حسين الخميني: «إن جدي رحمه الله ليس حاضراً معنا الآن».

فمن تصريحاته التي تناقلتها وسائل الإعلام مما أحرج فيها الحكومة الإيرانية كثيراً قوله: «إن موقفه كان يرفض دائماً إقامة الدولة الدينية. وهو يؤيد قيام نظام حكم علماني يحرر الدين من سطوة الدولة والحكومة وهيمنتها. وأنه يخطط لإنشاء حوزة جديدة عصرية في مدينة كربلاء. وهذا يعني أنه يريد أن يسحب النفوذ من حوزة قم (!).

ويقول: «إن إيران تمر بمأزق حرج، وأن على حكامها ـ حسب قوله هو ـ التحلي بالشجاعة والاحتكام إلى الشعب الإيراني ليقول كلمة الفصل بشأن الحكم الديني في البلاد، وإلا فإن عليهم توقع الأسوأ. وإنه ـ حسب قوله ـ لا يرى مانعاً من الاستعانة بالأميركان لتحرير الشعب الإيراني، كما حدث للعراق، إذا لم يكن هناك من خيار آخر(!).

وقال أيضاً: «إن الشعب الإيراني وصل إلى قناعة تامة بضرورة فصل الدين عن الدولة لما لمسه من إشكاليات ومعوقات جراء الفقه المكتوب.

رسالة منه إلى خامنئي

ويقول السيد حسين الخميني في حديث صحافي: إنه أرسل رسالة مفتوحة بكل هذه المعاني إلى المرشد الأعلى للجمهورية الإسلامية السيد علي خامنئي قال فيها: «إنه أخبر المرشد الأعلى بأن إيران اليوم في مأزق كبير، وقيادتها في موقف انفعالي وتفتقر إلى المبادرة الخلاقة. والبلاد اليوم أحوج ما تكون إلى الحرية(!)». وحسب قوله: «إنه طالب المرشد الأعلى بإجراء استفتاء شعبي حتى يعبر الشعب الإيراني عن موقفه مع أو ضد نظام إسلامي في إيران».

محور جذب

وصفه الشباب الشيعي الذي تحرر من الأحزاب القديمة «التوليتارية» بأنه أمل الإصلاح الديمقراطي في إيران. وينظر إليه زعماء الحوزة الشيعية في النجف إلى أنه رجل جريء ما زال يحمل هالة جده الإمام الذي ما زال الكثيرون يحترمونه. ويصفه «مجاهدين خلق» الذين بدأوا ينجذبون إليه بحكم الحاجة بأنه نموذج للداعين من أجل حرية إيران. ويعتبره الصدريون «جماعة مقتدى الصدر» منافساً قد يكون مهيئاً لإطفاء جذوة غضبهم على الجميع. ويصفه العلمانيون على أنه «جيفارا» بعمامة شيعية(!)، ويصفه الأميركان والبريطانيون بأنه «هذا هو الخميني الذي كنا نتطلع إليه منذ زمن طويل»، أما الإصلاحيون فإنهم يعتبرونه الصوت الجريء المتناغم بين

أشبه بالمسارات التي سارت عليها عربة الحرب الأميركية لإسقاط نظام صدام. ليس فقط بتشجيع حركة المعارضة في الداخل ودعم الحركة المدنية المطالبة بالإصلاح والاتصال بالضباط لتوفير نزعة التمرد لديهم، إنما أيضاً إيجاد مراكز قوى إعلامية ومعنوية في الخارج تدعم تلك المحاولات الحثيثة نحو التغيير في إيران. وحينما تم تغيير النظام في العراق، وأصبح العراق محتلاً بإرادة دولية تحت سيطرة الدولتين الحليفتين، وجدت واشنطن نفسها قاب قوسين أو أدنى من طهران.

فالرمي على طهران من واشنطن غير الرمي عليها من بغداد أو من البصرة أو من الكوت. والصوت الذي ينطلق من واشنطن قد يتوه في زحمة الأقمار الصناعية. لكن الصوت الذي ينطلق من النجف باتجاه الشرق القريب سرعان ما يتردد صداه في قم وفي المدن الإيرانية الأخرى التي تعيش الآن غمرة الصراع بين التيارين المحافظ والإصلاحي.

أصداء الحفيد

وحين ظهر الخميني الحفيد وجدت فيه واشنطن واحداً من الأصوات التي تبحث عنها والتي تريدها أن تعلو ويتردد صداها هناك في الشوارع المحيطة بجامعة طهران، أو في قم ومشهد وشيراز وغيرها، حيث راحت حركة المطالبة بالتغيير تتسارع أكثر من قبل.

وحينما وقف الرئيس خاتمي قبل أيام قليلة ينتقد النظام الذي يرأسه، محذراً من خطر سيطرة «الفاشية» على الحكم في إيران -على حد قوله- باسم الدين والثورة، تولدت قناعة لدى المراقبين بأن الرئيس خاتمي ردد أصداء خطب وتصريحات السيد حسين الخميني التي أطلقها من النجف، على رغم أن السيد خاتمي بما لديه من عقل منفتح، ورغبة عارمة للإصلاح لا يحتاج لترديد صدى أصوات الآخرين. ولكن بالمقارنة بين ما قاله خاتمي وما قاله الخميني الحفيد نجد تطابقاً غريباً، وكأن الرجلين ينطلقان من ضمير واحد، ومن رغبة واحدة في الإصلاح. فمما قاله الرئيس خاتمي أمام البرلمان الأسبوع الماضي: «إنه يشعر بالقلق على إيران، محذراً من خطر الفاشية، فهدف الثورة الإسلامية -كما يقول- لم يكن فرض رؤية فاشية على المجتمع باسم الدين والثورة، أو مهاجمة الذين لا يشتركون في هذه الرؤية، وإخضاعهم للضغوط»، وأضاف الرئيس خاتمي: «اليوم المأساة عندنا هي أن نسعى مستندين إلى نظرة فاشية للدين والثورة إلى إخراج المنافس من الساحة السياسية».

وقد أصاب خاتمي كبد الحقيقة كما يقال، ولعله أشار بالصدفة إلى حالة الخميني الحفيد الذي أخرجته الفاشية -كما يقول- من الساحة السياسية في إيران.

من هو الحفيد؟

في أواخر الستينات وأوائل السبعينات، وقبل الثورة الإسلامية في إيران، كان الإمام روح الله الخميني في النجف لاجئاً ومبعداً عن إيران، قبل أن يطلب منه صدام حسين باتفاق مع الشاه آنذاك مغادرة منفاه النجف، وقبل سنة من رحيله عنها أغتيل ولده الأكبر «مصطفى روح الله الخميني» في النجف وبعملية لم يمط اللثام عنها لغاية الآن(!)، ولكن قيل إنها من تدبير «السافاك» مع استخبارات صدام للضغط على الإمام الخميني.

الرئيس السابق «أبو الحسن بني صدر»...

إيران إلى حرب مدمرة مع العراق، ومعتبراً إياها نتاج تحالف اليمين الفاشي الإيراني مع نظام صدام الدكتاتوري. وهذا التحالف الخفي -حسب ما يرى ذلك- هو الذي هيأ مبررات تلك الحرب المؤذية لكلا الشعبين. وما زال حسين الخميني يصرح لجلسائه من الصحافيين قائلاً: «إن المؤامرة التي أدت إلى التفريق بينه وبين جده رحمه الله، كان وراءها اثنان رفسنجاني وخامنئي»، لكن آخرين يحاولون نفي هذا الاتهام، واضطر الإمام الخميني بعد تفاقم الصراع بين اتجاهين،

خاتمي: فاشية الدين والثورة أخرجت الخميني من الساحة السياسية

أحدهما يقوده حفيده الشاب والآخر يقوده أركان النظام والحوزة، إلى إبعاد حفيده حسين الخميني إلى مدينة مشهد، وفرضت عليه الإقامة الجبرية هناك، ومنعه جده من التدخل في السياسة.

حتى خصومه يحبونه

وظل حسين الخميني حتى بعد وفاة جده الإمام في منأى عن أذى خصومه، لا أحد منهم يقدر أن يقترب منه في منفاه. فالجميع يعرف أنه أكثر الشخصيات الإيرانية بعداً عن الفساد أو الرشوة. ولم يعرف بسيئة قد تطيح بشخصيته. فيما يرى الجميع أن تاريخه السياسي نظيف بشهادة خصومه. كان يستغل علاقته بجده الإمام الخميني ليحصل منه على منافع للمحتاجين من الذين بلا مأوى أو سكن أو مورد مالي، وكان العراقيون المنفيون من بلادهم يجدون فيه عوناً لهم في منفاهم. وتفجر الموقف بين حسين الخميني وبين السلطة الإيرانية بعد اندلاع مظاهرات الطلبة والمثقفين خلال السنوات الثماني الماضية.

وكان يمكن أن يقال عنه: إنه ما زال في مشهد أو في قم حيث منفاه الاختياري.

لكنه فجأة ظهر في العراق وبالتحديد في النجف، المدينة التي شهدت بواكير نضوجه الفكري والسياسي، بعد أن ترك وراءه صيتاً بين الطلبة والشباب وتيار الإصلاحيين كواحد من أبرز الأصوات والرموز التي يمكن أن تكون محور التجمع الوطني الإيراني من أجل الإصلاح والحرية.

ما هي أفكار الخميني الحفيد؟

منذ شهرين حين أعلن عن وجوده في النجف، ومن ثم في بغداد ومناطق أخرى من العراق، حيث التقى بالعديد من الفعاليات الدينية والسياسية مثلما التقى بممثلين عن الإدارة الأميركية والبريطانية في العراق ومجلس الحكم، والصحافة، لم يتردد الخميني الحفيد من توجيه أقسى الانتقادات للنظام في إيران.

الإسلامية السيد علي خامنئي قال فيها: «إنه أخبر المرشد الأعلى بأن إيران اليوم في مازق كبير، وقيادتها في موقف انفعالي وتفتقر إلى المبادرة الخلاقة. والبلاد اليوم أحوج ما تكون إلى الحرية(!)». وحسب قوله: «إنه طالب المرشد الأعلى بإجراء استفتاء شعبي حتى يعبر الشعب الإيراني عن موقفه مع أو ضد نظام إسلامي في إيران».

محور جذب

وصفه الشباب الشيعي الذي تحرر من الأحزاب القديمة «التولتارية» بأنه أمل الإصلاح الديمقراطي في إيران. وينظر إليه زعماء الحوزة الشيعية في النجف إلى أنه رجل جريء ما زال يحمل هالة جده الإمام الذي ما زال الكثيرون يحترمونه. ويصفه «مجاهدين خلق» الذين بدأوا ينجذبون إليه بحكم الحاجة بأنه نموذج للداعين من أجل حرية إيران. ويعتبره الصدريون «جماعة مقتدى الصدر» منافساً قد يكون مهيئاً لإطفاء جذوة غضبهم على الجميع. ويصفه العلمانيون على أنه «جيفارا» بعمامة شيعية(!)، ويصفه الأميركان والبريطانيون بأنه «هذا هو الخميني الذي كنا نتطلع إليه منذ زمن طويل». أما الإصلاحيون فإنهم يعتبرونه الصوت الجريء المتناغم بين النجف وقم. أما جماعة بني صدر فإنهم يعتبرونه حليفهم ومثالاً يحتذى به. والأعجب من ذلك حتى الملكيين في الولايات المتحدة جماعة ولي العهد الشاهنشاهي بدأوا ينظرون إليه بإعجاب شديد ويعتبرونه زعامة قد تكون محوراً لجذب الكثير من أطراف المعارضة. فهل عرف الخميني الحفيد سر اللعبة الدولية والإقليمية؟ وهل أن التاريخ يعيد نفسه مثلما حل جده رحمه الله في النجف ليقود المعارضة الشيعية ضد شاه إيران؟ يحل الآن الحفيد حسين الخميني في النجف أيضاً بعد 25 عاماً من ثورة جده ليقود المعارضة ضد ذلك النظام الذي صنعته تلك الثورة، والذي يصفه بالاستبداد، أما واشنطن، فترى كما يقول المتحدث الأميركي باسم قوات التحالف «تشارلز هياتلي»: «إن هذا الرجل يعبر عن وجهة نظر عدد كبير من العراقيين والشيعة عندما يشير إلى ضرورة الفصل بين الدين والدولة وإلى مجتمع ديمقراطي إن كان في العراق أو في إيران».

إيران ترد الصاع صاعين

وحسب مصادر مطلعة قالت لـ«الزمن»: إن إيران بدأت ترد الصاع صاعين لرياح الحرية الخمينية القادمة من النجف (!)، فهي لا ترد على الخميني الحفيد مباشرة. لأن جزءاً كبيراً مما يقوله، يقوله أيضاً الرئيس خاتمي بكل جراة، وتقوله صحف الإصلاحيين ومنتدياتهم، ويقوله غاضبون على رغم ما يتعرضون له من أحكام بالسجن. لكن إيران ردت على «الرمي» الأميركي الذي بات قريباً من أسوارها، وذلك بتحريك مجموعات موالية لها داخل العراق هنا وهناك لإزعاج وإنهاك قوات التحالف. فالحملة الإعلامية -كما تقول تلك المصادر- التي ظهرت فجأة في أحاديث الخميني الحفيد أذهلت طهران وفاجأتها. لهذا ردت عليها الاستخبارات الإيرانية بإثارة اضطرابات ساخنة في البصرة والعمارة بعد هدوء نسبي، وكأن ما أنجزه الوفد الإيراني الرسمي الذي أرسله الرئيس خاتمي إلى مجلس الحكم العراقي لم يؤت ثماره، أو راح هباء.■